اللقب والإسم: **قاسي فريدة**	**مؤسسة الانتماء:**
الرتبة: أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
البريد الالكتروني: kacifarida@yahoo.fr	
البريد المهني: f.gaci@univ-emir.dz	

الملتقى الوطني: **قيم الثورة الجزائرية من التحرر الوطني إلى الاشعاع العالمي**
المحور الأوّل: **الفكر التحرري والثورة الجزائرية**
عنوان المداخلة: **الزعيم "أرنستو تشي غيفارا" واستلهام قيم الثورة الجزائرية من خلال كفاحه في أمريكا اللاتينية**

ملخّص باللغة العربية

أرنستو تشي غيفارا زعيم الثورة الكوبية والرجل الثاني فيها بعد فيدال كاسترو، هذا الطبيب والكاتب والقائد العسكري الذي ناهض الاستعمار والامبريالية عندما قرّر أن يكون ثائرا ضدّ النظام الديكتاتوري الذي مارسه الولايات المتحدة الأمريكية على شعوب أمريكا اللاتينية.

وكون تشي غيفارا كان رمزا للثورة على الظلم والاستبداد أينما كان في أمريكا وإفريقيا وآسيا فقد ارتبط بمبادئ الثورة الجزائرية وقيمها الإنسانية النبيلة وكذلك زعمائها وخاصة أحمد بن بلّة.

من هنا جاءت إشكالية هذه الورقة البحثية: كيف كانت الثورة الجزائرية مصدر إلهام لمبادئ الفكر التحرري لهذا الزعيم الثوري العالمي، ومحطة من المحطات التي دعّمت نضاله وكفاحه من أجل الشعوب المضطهدة؟

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، الثورة الكوبية، تشي غيفارا، الاستعمار، الامبريالية، الاضطهاد، الفكر التحرري، القيم الإنسانية.

ملخص باللغة الإنجليزية

Ernesto Che Guevara, the leader of the Cuban Revolution and its second-in-command after Vidal Castro, is this doctor, writer, and

military leader who opposed colonialism and imperialism when he decided to be a revolutionary against the dictatorial regime that the United States of America practiced on the peoples of Latin America.

Because Che Guevara was a symbol of the revolution against injustice and tyranny wherever he was in America, Africa and Asia, he was linked to the principles of the Algerian revolution and its noble human values, as well as to its leaders, especially Ahmed Ben Bella.

Hence the problem of this research paper: How was the Algerian revolution a source of inspiration for the principles of the liberal thought of this global revolutionary leader, and one of the stations that supported his struggle and his struggle for oppressed peoples?

Keywords: Algerian Revolution, Cuban Revolution, Che Guevara, colonialism, imperialism, persecution, liberal thought, human values.

مقدّمة

تعدّ كوبا واحدة من أهمّ دول قارة أمريكا اللاتينية ومصدر هذه الأهمية هو موقعها الجغرافي المتميّز وتتكوّن كوبا من جزيرة مستطيلة الشكل كبيرة الحجم نسبيّا ومجموعة من الجزر الصغيرة (قرابة 4195 جزيرة)، في عرض البحر الكاريبي، وبمحاذاة مدار السرطان عند خليج المكسيك، وعلى بعد 140 كلم من جزيرة "جامايكا" في جنوبها الغربي و180 كلم عن ولاية فلوريدا الأمريكية في شمالها الشرقي(1).

تتميّز أراضيها بمجموعة من السلاسل الجبلية أشهر سلسلة جبال "السيرامايسترا" الممتدّة على طول الساحل الجنوبي، وسلسلة جبال ثنييتي و"ثور" الممتدة على طول الساحل الشمالي، ويفصل بين السلسلتين وادي "نهر كاوتو" الذي تصبّ مياهه في خليج غوانتانامو. إضافة إلى سلسلتي جبال "أورغانوس" و"روزاريو" ممتدة غربي العاصمة هافانا ويفصل بين المجموعات الجبلية أراضي منخفضة(2). إذن تحتل كوبا حيّزا جغرافيا مهمّا وموقعا استراتيجيا وثروات وموارد طبيعية يمكن استثمارها في مجال الصناعة والزراعة.

سكان كوبا الأصليين من الهنود الحمر وقد أبادهم الإسبان عند قدومهم إلى جزيرة كوبا (3)، واستقدموا بدلهم السّود كعبيد، لاستغلالهم في مزارع التبغ والسكر وأهم مدن كوبا العاصمة هافانا،غوانتانامو، سنتاكلارا، سانتياغو دي كوبا.(4)

قامت عدّة ثورات وانتفاضات ضدّ الإستبداد الإسباني أهمّها ثورات 1800م، 1812م، 1844م، ويمكن اعتبار سنة 1868م بداية حركة المقاومة الوطنية واندلاع حرب التحرير ضدّ إسبانيا التي استمرّت عشر سنوات 1868-1878م بقيادة Carlos Manuel de cespedes الذي اغتالته قوات الاحتلال.(5)

أولا: من هو تشي غيفارا؟

"ولدت في الأرجنتين وقاتلت في كوبا، وبدأت حياتي ثائرا في غواتيمالا"، هكذا أوجز غيفارا سيرة حياته. ولد إرنستو في يوم 14 جوان 1928م، وهو سليل عائلة إسبانية إرلندية كانت لها مكانتها، ترعرع في مدينة صغيرة "ألتا غراسيا"، ورغم التمسك الظاهري للعائلة بالعادات والتقاليد إلا أنّها تميّزت بالتقدمية والنشاط والانفتاح الذهني.(11)

يشهد ريكاردو روجو –وهو صديق للعائلة– انّه كانت ثمة أشياء مسلّم بها في أسرة غيفارا "حب للعدالة، رفض للفاشية، لا مبالاة دينية واهتمام بالأدب والموسيقى وكراهية المال ووسائل جمعه".(12)

لقد أدّت هذه الظروف العائلية بصورة طبيعية إلى شعور التمرّد لدى الطفل إرنستو ما دفعه لأن يصبح ثائرا حالما بالمستقبل الجميل لبلاده وقارّته. وصفه أحد رفاقه في الدراسة بأنّه إنسان: "واثق من نفسه إلى حدّ لا يصدّق ومستقلّ في آرائه استقلالا تامّا...ممتلئ شديد النشاط لا يعرف الكلل، فضلا عن تحرّره من التقاليد والأعراف"، أمّا بالنسبة لأحد أساتذته فقد كان إرنستو "في مظهره وتصرّفه إنسانا يفوق عمره كثيرا وبدا ذلك واضحا عليه فقد كان تامّ النضوج".(13)

كان "تشي" عنيدا ينظر إلى المصاعب على أنّها تحديات رغم داء الربو الذي لازمه طول حياته، وكان لوفاة جدّته بمرض السرطان ومكابدة والدته –المرض نفسه– سببا في توجهه نحو دراسة الطب سعيا منه لإيجاد علاج لهذا المرض.

ففي عام 1946م، انتقلت العائلة إلى "بيونس آيرس" –العاصمة– لدراسة الطبّ بالجامعة وبعد تخرجه مباشرة قام برحلته التاريخية مع صديقه "ألبرتو غراندو" على دراجة نارية حيث قطع 4500 كلم، وكانت هذه الرحلة هي البوابة التي ولج من خلالها الطبيب الشاب فضاء أمريكا اللاتينية ليعود من هناك بالشعلة التي صهرت

روحه النقية ومزجتها بآلام شعوب القارة المنهوبة وتطلعاتها، بدءا من تاريخ الإبادات الجماعية التي ارتكبتها غزوات الرجل الأبيض وانتهاءا بالأمل الإنساني المعذّب.(14)

وقد كتب "غيفارا" وهو ابن الـ24 سنة: "علمت أنّه حين تشقّ الروح الهادية العظيمة الإنسانية إلى شطرين متصارعين سأكون إلى جانب الشعب... أرى نفسي قربانا في الثورة الحقيقية... أشعر أن أنفي سيتّسع ليستنشق الرائحة اللاذعة للبارود والدم والموت، أفعم جسدي بعزم فولاذي وأعدّ نفسي للمعركة."(15)

فكانت رحلة إرنستو الشاب إلى أمريكا اللاتينية والمصاعب التي واجهته والمشاق التي تحملها مؤشرا مبكرا عن شخصية فريدة ثائرة وصاحبة قضية إنسانية.

تخرّج "تشي" طبيبا سنة 1953م، لكنّه ألقى مهنته جانبا –على الرغم من معارضة والده– وترك الأرجنتين قاصدا بوليفيا التي كانت قد شهدت أوّل حكومة إصلاحية فعالة في تاريخها، وهنا احتكّ احتكاكا مباشرا ببرنامج واسع للتغيير الاجتماعي وصرف نظره إلى أفكار تقدّمية ثورية.

انتقل بعدها –مع طلبة الأرجنتين– إلى غواتيمالا حيث كانت ثورة أخرى في طور التخمّر، والتي ربما تقدّم نموذجا للتغيير في القارة بأكملها، وقد التحق بالمقاومة وبدأ يشعر كأنّه مسؤول عن كلّ المظالم ومظاهر البؤس التي شاهدها وشارك فيها الفقراء من خلال رحلته عبر أمريكا اللاتينية. (16)

باءت الثورة بالفشل وأصبح تشي غيفارا ملاحقا من المجموعات اليمينية وحققت وكالة المخابرات المركزية نصرا مؤقتا للمصالح المالية الأمريكية في غواتيمالا، كلّهذا دفع "تشي" إلى دراسة كتب "ماركس و"لينين"، فقد أدرك أنّ ما حدث في غواتيمالا هو أن حكومة وطنية أرادت إصلاحا زراعيا وتحسين أحوال الناس، تعرّضت لهجوم من قبل قوة رأسمالية غنية تحقق أرباحها عن طريق الاستغلال، إنّ هذا مثال لأسوأ أشكال الإمبريالية في النتطبيق، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية عدوّا لـ "تشي غيفارا" يتملّكه في تجربته وإيديولوجيته.(17)

كتب "هيلدا جاديا" زوجة "غيفارا" الأولى: "كانت غواتيمالا البلد الذي دفع "تشي" إلى الاقتناع نهائيا بضرورة خوض الكفاح المسلّح وأخذ زمام المبادرة ضدّ الإمبريالية وكان على يقين من صحة ذلك عندما كان يهمّ بترك البلد".(18)

غادر "غيفارا" إلى المكسيك وأقبل على قراءة الأعمال الكاملة لـ "كارل ماكس" و"لينين" ليلتقي هناك بـ "فيدل كاسترو" –في صيف 1955م– الذي كان قد سجن ثمّ نفي من كوبا تزعّمه انقلابا فاشلا ضدّ الدكتاتور "فولجينكو باتستا" ليلتحق "تشي" بجماعته الثورية منذ الليلة الأولى وقد ذكر في هذا الصدد: "إن قناعتي بالإلتحاق بأي ثورة ضدّ الطغيان لا يستغرق من الوقت إلا القليل".(19)

لقد تحول الطبيب الشاب إلى ثوري واع وانتقل من الانتقام السلبي إلى المقاومة الإيجابية ومن الملاحظة إلى التخطيط وأصبح تعاطفه مع البشرية البائسة إستراتيجية لإيجاد علاج لذلك البؤس، كان كلّ ما يحتاجه "تشي" ليصبح ثوريا كاملا هو ولادة ثورة أخرى فكانت الثورة الكوبية.

ثانيا: "تشي غيفارا والثورة الكوبية"

1. كفاحه خلال الثورة الكوبية

كانت شخصية الكولونيل "باتيستا" تسيطر على الحياة السياسية في كوبا (1934-1958م) حيث أقام دكتاتورية حقيقية مارست سلطتها بالقوة –مدعومة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية- وبلغ استياء الكوبيين من هذه السياسة حدّه الأقصى عبّر عنها "فيدال كاسترو" –عند لقائه بـ "تشي غيفارا" في المكسيك- "يوجد الآن في كوبا ما يزيد عن سبعمائة ألف عاطل عن العمل وخمسمائة ألف عامل زراعي يعملون في ظروف يرثى لها، كما خفّضت رواتب أربعمائة ألف عامل وموظّف، أمّا التعليم فنسبة الأمية وصلت إلى 40 بالمائة والخدمات الطبية حدث ولا حرج، فالمستشفيات مثل المدارس وجدت لمن تسمح له جيوبه المنتفخة بالدخول إليها".(20)

كان "فيدال كاسترو" (21) أحد قادة الجناح اليساري في حزب الشعب الكوبي وناضل ضدّ مهادنة حكم الدكتاتور "باتيستا" وفي جويلية عام 1953م قام مع أعضاء حركته باقتحام ثكنة "مونكادا" العسكرية في مقاطعة "سانياغو دي كوبا" لكنها منيت بالفشل وأودع فيدال السجن، وبعد العفو عنه واصل نضاله وكتب عدّة مقالات في صحيفة "لاتاليه" السياسية التي لاقت نجاحا كبيرا، فصادر "باتيستا" الصحيفة وحظر عليه الإذاعة والتلفزيون ومنعه من نشر مقالاته، فغادر البلاد إلى المكسيك وهو مصمم على أن يقود الثورة مرة أخرى متأثرا برمز الثورة الكوبية –خوسي مارتيه- وبكتاباته: "طالما القهر موجود فسيكون من يناضل ضدّه" وبالتالي قال "فيدال": لا بدّ من انتخابات بدون باتيستا وبدون جهاز قمعي".(22)

إذن عدما وصل إلى المكسيك بدأ بتنظيم حركة أخرى أسماها حركة "26 جويلية" تيمّنا بهجومه الأوّل الفاشل على مونكادا وهناك تعرّف على الطبيب الأرجنتيني "تشي غيفارا" الذي انضمّ إلى الحركة الجديدة.

لقد كان "تشي غيفارا" معجبا كثيرا بالأخوين "فيدال" و"راؤول" كاسترو اللذان كانا ينضجان حقدا على طغاة أمريكا اللاتينية وكلاهما كان يطمح لتنظيف القارة بأكملها من الإمبريالية الأمريكية، وتكررت اللقاءات وكان الحديث حديث الثورة، ويستمع "تشي" –بكلّ عنفوان- إلى قول راؤول: "إنّ من أشهر السّلاح مرة واحدة في وجه الإمبريالية لا يمكن أن يسقط من يده، وإن فعل فالإمبريالية ستحفر قبره".(23)

وهنا أدرك "تشي غيفارا" أن طريق الثورة يرتسم شيئا فشيئا فهم أناس يملكون ما يكفي من البطولة لترجمة طموحاتهم إلى واقع. قال "فيدال" مخاطبا "غيفارا": "لم يكن السجن مضيعة للوقت، فقد مارسنا التثقيف الذاتي واستطعنا تحويل السجن إلى مدرسة للكادر حتى أننا قرأنا "رأس المال" لكارل ماركس وناقشناه".(24) ثمّ ذكر له سرّ قوة "الحركة" أنّها تستند إلى القاعدة الجماهيرية المجمّعة على كراهية باتيستا وأتباعه ونظامه، فمن يتمكن حيازة ثقة الشعب سيّير ورائه حتى نهاية المعركة، ونحن لا نناضل بدلا عن الشعب وإنّما مع الشعب وفي ذلك بالضبط تكمن قوّتنا.(25)

وأخيرا فإننا نحن الثوريون تكمن قوّتنا في مدى قدرتنا على التعبير عن آمال شعبنا وطموحاته ومدى تنسيق خطواتنا مع هذه الآمال.

لقد طال حديث "غيفارا" مع "فيدال كاسترو" وفي كلّ مرة يقف على رجل طموح ثوري كلّه تحدي – على خطوات خوسيه مارتي– وهو على يقين بنجاح ثورته وبلوغه أهدافه: "إنّ تلك الفلسفة الجبرية التي فرضها الديكتاتوريون لا يعني أنها حقيقة أبدا فنحن سننتصر وستكون أولى مهمّاتنا إجراء الإصلاح الزراعي وستعطي الأرض لمن يزرعها، وستعود حقوق العمال إلى حيويتها وقانونيتها، قانون يحميهم من وحش البطالة...عندها سنشرع في تصنيع البلد والدستور يستعيد مضمونه الصحيح وفاعليته".(26) إذن كان "فيدال" رجلا عظيما أراد أن يبدأ النضال ليبعث الروح في شعبه من جديد وهو الذي قال سنة 1956م: "إمّا أن نحقق الحرية وإما أن نبقى معذّبين".(27)

في 25 نوفمبر 1956م أبحر "تشي غيفارا" مع مجموعة الـ"26 جويلية" على متن قارب "غرانما" وكان الجنرال "ألبرتو بايو" –ضابط إسباني مرموق كان يعيش في كوبا– قد تولّى الإشراف على جيش حرب العصابات، لقد وضعت نفسي –يقول غيفارا– تحت تصرّف قيادة الثورة ذلك أن مثلا أعلى مثل الذي تعمل له الثورة هو جدير بأن يموت في سبيله الفرد في بلاد غير بلاده.(28)

وفي 3 نوفمبر اندلعت اضطرابات في "سانتياغو دي كوبا" وكان رفيقنا "فرانك بايس" قد أطلق شرارتها تزامنا مع وصول حملتنا، وفي 1 ديسمبر وصلنا على ساحل كوبا واتّجهنا إلى مكان يدعى "بيليك" على شاطئ "الكولورادس" وبدأت طائرات "باتستا" تطاردنا، وفي "ألجريا دي بيو" وهي تقع في مقاطعة "أريانتي" باغتنا القوات الديكتاتورية في 5 ديسمبر 1956م (29)، وكان هجومنا على موقع صغير يقع على مصبّ "الريودي لاباتا" في منطقة "السيرا مايسترا" أوّل نصر حققناه، برهن على أن الجيش الثائر حقيقة واقعة وليس خرافة، فكانت معركة "لابلاتا" من أولى المعارك الظافرة لجيشنا في 17 جانفي 1957م (30)، وفي معركة "نهر الجحيم" في 22 جانفي

1957م انتصر الثوار على قوات "سانتشز موسكير" (31)، وكانت آخر معركة هي معركة "سانتا كلارا" في 9 أفريل 1959م الحاسمة(32)، حيث دخل جيش الثوار العاصمة بعد هروب "باتستا" في جانفي 1959م، وأصبح "تشي غيفارا" قائدا رئيسيا في الحكومة الثورية الجديدة.

ثالثا: الثورة الجزائريو والفكر التحرري لـ"تشي غيفارا"

عندما انتهت الثورة منح "تشي غيفارا" الجنسية الكوبية –تقديرا لمساهمته فيها– وتعيّن في أكتوبر 1959م رئيسا لدائرة التصنيع في مؤسسة الإصلاح الزراعي وفي نوفمبر من نفس السنة أصبح "تشي" رئيسا للبنك الوطني الكوبي.

في سنة 1960م، كلّفه "فيدال كاسترو" بالعمل الدبلوماسي فقام برحلة إلى الاتحاد السوفياتي وجمهورية ألمانيا الديموقراطية، حيث وقّع عدّة اتفاقات تجارية.(33)

وفي سنة 1961م، عيّن "تشي غيفارا" وزيرا للصناعة الجديدة كما ترأّس وفد كوبا إلى منظمة الدول الأمريكية في "كونتا ديل إستي" في الأوروغواي حيث شجب معاهدة الرئيس الأمريكي "كينيدي" للتقدّم. (34)

وفي أفريل سنة 1965م، قرّر مغادرة كوبا والخلي عن جميع الوظائف والمناصب لقيادة مهمة حرب العصابات دعما للنضال الثوري في "الكونغو" ثمّ عاد سرا إلى كوبا في ديسمبر 1965م، وكانت خطّته أن يتحدّى الدكتاتورية العسكرية في ذلك البلد، وفي 8 أكتوبر جرح وأسر من طرف القوات البوليفية المضادّة، وفي اليوم التالي قتل وأخفي جثمانه(35)، واكتشفت رفاته سنة 1997م وأعيد إلى كوبا وشيّدوا له صرحا تذكاريا في سانتا كلارا. (36)

عندما غادر "تشي غيفارا" كوبا أراد أن يكون ثائرا حرّا فكان بذلك يترجم عقيدته التي طالما آمن بها، فقد شغلت الثورة الكوبية "فيدال كاسترو" بصورة كلية بينما أراد "غيفارا" توسيع دائرة الحرب لتشمل أمريكا اللاتينية، وكان بوسع "كاسترو" أن يكون ثوريا متفرغا داخل الثورة الكوبية، لكن "غيفارا" لم يكن بوسعه أن يكون ثوريا متفرغا إلا خارجها –لهذا اتّجه إلى بوليفيا–.(37)

وهذا ما أكّده عندما كتب رسالة الوداع إلى رفيقه في السلاح "فيدال": "هناك أمم أخرى تحتاج إلى جهودي المتواضعة"، وختم الرسالة بقوله: "عليّ أن أحقق أقدس الواجبات واجب الكفاح ضدّ الإمبريالية حيثما وجدت".(38) لهذا رثاه فيدال بعد موته: "سوف يكون "تشي" في المستقبل مثالا ليس له مثيل، لقد تحرر قلبه وعقله من الوطنية الضيقة والمحاباة والتعصب القومي وحب الذات". (39)

لقد خاض "تشي غيفارا" سنوات الكفاح والنضال والعصيان والتمرد على الحكام الطغاة والأنظمة المستبدة ونذر نفسه للحرية وكان رمزا حيا للبطولة والفداء فالهدف بالنسبة له هو حرية الشعوب الحقيقية وتحطيم مناطق نفوذ الإمبريالية. لقد ناضل على عدة جبهات لما يتوقف خلالها عن شرح عمله ونهجه ومطالبه وأهدافه.

كانت له رغبة كبيرة في التغيير، تغيير الحياة والناس لهذا كان وهو يحاور صديقه ألبرتو –في شبابه–: "أريد أن أمارس مهنة الطب لكنني أرى ضرورة التغيير، التغيير الحقيقي الذي يكفل القضاء على مآسي البشر، أعتقد أن ثروات هذه البلاد من المعادن ومن الاراضي الخصبة يجب أن تخدم جميع الناس لا أن تخدم بعض العائلات الغنية فقط أو الشركات الأمريكية فهؤلاء يشكّلون ورما سرطانيا لا يمكن القضاء عليه إلا باستئصاله النهائي". (40)

لقد أضحى "تشي" رمزا للتحرر ونموذجا للثائر النبيل الذي أفنى حياته من أجل الشعوب المقهورة وأن موته كان أسطورة إنسانية، فقتل الانسان لا يعني قتل أفكاره وقناعاته، فقد خلق انسانا جديدا بأحلامه التي تبقى نداء فخر تقذف أعداء الإنسانية. (41)

لهذا قال: "فإن اعتبروني مغامرا فإنني مغامر من نوع خاص من نوع أولئك الذين يخاطرون بحياتهم من أجل ترجمة أفكارهم إلى واقع". (42)

لقد كان "تشي غيفارا" منظّرا سياسيا وعسكريا –من خلال مؤلفاته– طبق جميع أفكاره وكان دائما يمارس ما ينادي به، لهذا كان تأثيره في موته أكثر منه في حياته، ففي الرسالة (43) التي بعثها إلى كوبا وتليت في منظمة تضامن دول القارات الثلاث في هافانا 1987م شرح فيها عقيدته وأورد خلاصة لفلسفته التي اكتسبها من حياته مناضلا ومقاتلا من أجل الشعوب المضطهدة.

إنّ أول النظريات التي أكّد عليها "تشي غيفارا" التضحية والكفاح بما نؤمن به ونعمل من أجله، ففي رسالته الأخيرة إلى والديه –قبل مقتله في بوليفيا– جاء فيها: "أنا أؤمن بالكفاح المسلح كحلّ وحيد للشعوب المكافحة في سبيل التحرر وأنني منسجم مع معتقداتي، وأنني من أولئك الذين يخاطرون بجلدهم في سبيل الدفاع عن الحقائق".(44)

وبالنسبة لنظرته إلى الوطن فهي مقدسة، خاطب زوجته إلدا: "أرجوك يا إلدا أن تفهميني، أنا لا أملك الحق في أن أتصرف وكأنني لا أفهم شيئا من هذه الحياة... فإما الوطن وإما الموت".(45)

أما الحرية فقد تغنى بها كثيرا وأكد على التضحية في سبيلها: "نحن في الاشتراكية أكثر حرية لأننا أغنى، ونحن أكثر حرية ونحن نضحّي عن وعي وهذا ثمن الحرية التي نناضل من أجلها". (46)

أما نظريته حول "الانسان الجديد" فقد ترجمها في جوابه لوالده عندما سأله –بعد انتهاء الثورة– ما هي خططك المستقبلية، وفيما يتعلق بمهنتك، فردّ عليه: "أنا ثائر، أنا مناضل، أساعد في بناء مجتمع جديد".(47)

فهذا الانسان الجديد الذي يخلق مجتمعا جديدا لابد وأن يتّسم بالمبادرة الفعلية وأن يطوّر من قدراته الفردية وأن يكون شخصية إبداعية، ومن أجل بناء المجتمع الجديد –يقول أرنستو– لسنا بحاجة إلى دمى تهز رأسها موافقة على كل شيء بل إننا بحاجة إلى مناضلين نشيطين لا يعملون من أجل مصالحهم الشخصية وإنما يشاركون في بناء المجتمع الاشتراكي بإبداع وهذا هو هدفنا. (48)

ولكي يكون هذا المجتمع الجديد مجتمعا تقدّميا لابد وأن يعادي الامبريالية: "فما يخلّ بالسلام هو بالضبط أن قوى الاضطهاد تحتفظ لنفسها بالسلطة ضد الحقّ".(49)

بهذه الأفكار كان أرنيستو ثائرا متحررا يسعى –بكل صدق ووفاء– إلى خير هذه المدينة العظيمة التي ينبغي أن تكون لها البشرية. (50)

وهو ما عبر عنه الشاعر بابلو نيرودا –عندما قابل "غيفارا"– بعد انتهاء الثورة: "لقد فعلتم كل شيء من اجل إعادة الأمل، كما صحت من نومها الملايين من شعوب أمريكا اللاتينية وأصبح لها هدف في هذه الحياة، لقد فرضتم للحرية والأمل مكانا عند هذه الشعوب". (51)

وليس غريبا على "تشي غيفارا" وهو بهذه الأفكار الثائرة التحررية ألا يرتبط بالثورة الجزائرية في مبادئها وأهدافها التي جسدت قيم ودلالات انسانية عالمية وضرورات حضارية، وأرست معاني الحرية والعدل والدفاع عن حقوق الانسان وكرامته.

لقد قامت هذه الثورة ضد احتلال تميّز بالعنصرية واستعمل أساليب غير انسانية من أجل القضاء على الشعب الجزائري. وعبّرت عن هذا من خلال مواثيقها فعندما صدر بيان أوّل نوفمبر دعا إلى تحقيق العدالة السياسية والاجتماعية دون تمييز عرقي (52) أو ديني: "ففي طرف الثورة التحريرية الجزائرية ذات البعد الشعبي العميق فإذا كانت المساواة في التضحية والاستشهاد فلماذا لا يكون في الحياة". (53)

أمّا قيمة الحرية فهي أسمى القيم الإنسانية وجوهر حقوقها لهذا جاء بيان أول نوفمبر: "إن حركتنا موجّهة فقط ضدّ الاستعمار وحده الذي هو العدوّ الوحيد الذي رفض أمام وسائل الكفاح السليمة أن يمنح أدنى حرية".(54)

إذن تضامن "تشي غيفارا" مع ثورتنا انطلاقا من أن كل شعب يباشر نضاله ويحفر قبر للإمبريالية يجب أن ينال منا كل مساعدة وإعجاب، يجب أن يكون الصراع متّزنا ولا يمكن أن يكون ثمة مصالح ولا حلول وسط

فالنصر يجب أن يكون كليا، وفي هذا التطلع يقف شعبنا مستعدا للحرب كما كان الشعب الجزائري مهيّأ لها خلال سبع سنوات (55) ونحيّي ونضمّ بين ذراعينا رجالا في بلاد بعيدة يناضلون من أجل أمننا ومن أجل آمالنا المشتركة التي توحد شعوب القارات الثلاث المضطهدة (إفريقيا – آسيا – أمريكا اللاتينية). (56)

إن المثل الذي جسدته الثورة الجزائرية بالنسبة لأمريكا اللاتينية أنها أثبتت أن فئة صغيرة من الرجال المصممين الذين يساعدهم الشعب والذين لا يخافون الموت يمكن أن تتوصّل إلى فرض إرادتها حيال جيش نظامي وإلى قهره. وقد أكد "تشي غيفارا" تقديره لثورتنا في "خطاب الجزائر" الذي كان عبارة عن ندوة ثقافية للتضامن الآسيوي الإفريقي (22 حتى 27 فيفري 1965م): "يجب أن نسمع صوتنا الصديق إلى جميع البلدان التي تكافح في سبيل انعتاقها ويجب أن نمد لها يدنا، وإن قليلا من المسارح تساوي في رمزيتها الجزائر –إحدى عواصم الحرية الأكثر بطولة– فليلهمنا الشعب الجزائري العظيم الذي تمرس في آلام الاستغلال كما لم يتمرّس مثله سوى القلة من الشعوب بقيادة حزبه وعلى رأسه صديقنا أحمد بن بلة في كفاحنا ضد الامبريالية الامريكية". (57)

إن كل نصر على الامبريالية هو نصر لنا، وفي كل مرة يتحرر بلد من البلدان يعني ذلك هزيمة لنظام الامبريالية العالمي، ويجب أن نعترف أن هذا الانقطاع لا يحدث لمجرد إعلان الاستقلال أو تحقيق نصر بقوة السلاح، فالحرية تتحقق عندما تنقطع السيطرة الاقتصادية الامبريالية على شعب ما. (58)

كما انطلق "تشي غيفارا" في علاقته بالثورة الجزائرية من مرحلة بناء الدولة –ما بعد الاستقلال– خاصة عندما أولى اهتماما كبيرا لموضوع السيادة السياسية والاستقلال الاقتصادي: "إن السلطة الثورية أو السيادة هي أداة للسيطرة الاقتصادية من أجل تحقيق السيادة القومية تحقيقا تاما". (59)

لقد أعلنّا الأهداف النبيلة للثورة الكوبية وأن نستعين بالشعوب الصديقة وأن نخلق اتحادا روحيا لبلداننا وأن نفتح طرقا جديدة في تعريف المصالح المشتركة لبلداننا النامية، وأنّه من واجب البلدان الاشتراكية أن تصفّي علاقتها الضمنية مع الأمم المستغلة في الغرب والاشتراكية هي السبيل لإزالة استغلال الانسان للإنسان (60).

وفعلا كان الرئيس الأول للجزائر أحمد بن بلة قد استجاب لروح التضامن هذه وكانت له صداقة متينة مع "تشي غيفارا" حتى أنّه كتب سنة 1989م "تحية لـ "تشي"" "Hommage au Che" (61)، وأعلن في الميثاق الأول للجزائر 1964م، عن تشييد ديمقراطية اشتراكية ومقاومة استغلال الانسان في جميع أشكاله وضمان حق العمل ومجانية التعليم وتصفية جميع بقايا الاستعمار، كما أكّد على الدفاع عن الحرية واحترام كرامة الكائن البشري، وإدانة التعذيب وكل مساس مادي أو معنوي بكامل كيان الكائن الآدمي.

من جهة أخرى انتهاج سياسة اجتماعية لفائدة الجماهير لرفع مستوى حياة العمال والمبادرة برقيّ المرأة لاشتراكها في تدبير الشؤون العامة وتطوير البلاد وتنمية الثقافة القومية وتحسين السكن والحالة الصحية.

إن أهم ما نصّ عليه ميثاق الجزائر هو الأسس الايديولوجية للثورة الجزائرية والتي تحولت إلى ثورة اشتراكية دعمتها السلطة الثورية بمراسيم التسيير الذاتي للمؤسسات، وتحديدا عداء الاشتراكية بالامبريالية التي تدعم الطبقات البرجوازية العليا، وتحديد المهام الاقتصادية للإنجاز الاشتراكي والتي تتلخّص في ضرورة الاستغلال الأمثل للإمكانيات الموجودة وتطوير قطاع الإنتاج، وأخيرا إنجاز مطامح الجماهير الشعبية والتي تتلخص في تحسين مستوى المعيشي والاهتمام بالتكوين المعرفي لأنّه يؤدي إلى تحسين العمل وترقية المرأة وتحريرها وتعميم الصحة على الجميع وإعطاء الأولوية للتعليم ومحو الأمية. (62)

أمّا على المستوى الدولي فجزائر الثورة تقف مع الحركات التحررية في العالم وجسّدت هذا في وقوفها مع الفيتنام عندما هاجمتها الولايات المتحدة 1964م، وأنغولا والموزمبيق وجنوب إفريقيا. كما أن الجزائر تلقّب بـ "قبلة الثوار" ومنهم "تشي غيفارا" الذي حظي باستقبال خاص عام 1965م، وحوّل الجزائر –بموافقة بن بلة– إلى طريق لمرور الأسلحة والمؤن لدعم الحركة الثورية التي كان ينوي القيام بها في القارة الإفريقية لإنجاح ثورته العالمية ضدّ الإمبريالية.(63)

الخاتمة

نستنتج مما سبق ما يلي:

1.المحيط الاجتماعي الذي نشأ فيه غأرنستو تشي غيفارا كان له أثرا في خلق شعور التمرّد لديه وأن يكون ثائرا حالما بمستقبل جميل لبلاده وقارته.

2.الرحلة التي قام بها على دراجته النارية مع صديقه "ألبرتو غراندو" جعلته يتعرّف على فضاء أمريكا اللاتينية ويدرك مدى معاناتها وآلامها وتطلّعاتها.

3.كان لحركات النضال الثوري في بوليفيا وغواتيمالا أثرها في تخمّر فكرة النضال والكفاح لدى الشاب الأرجنتيني ليلتحق بالمقاومة ويعادي الإمبريالية التي هي السبب في عذابات شعوب قارته.

4.كانت الثورة الكوبية إحدى المحطات الرئيسية التي أكّدت ثورية "تشي غيفارا" ومناهضته للديكتاتورية عندما انخرط في الثورة إلى جانب "فيدال كاسترو" صاحب مبدأ "إمّا أن تحقق الحرية وإمّا أن نبقى معذّبين".

5.قاد "تشي غيفارا" أحداث الثورة الكوبية ودخل منتصرا إلى سانتا كلارا وأصبح منظّرا لحرب العصابات.

6.غادر "تشي غيفارا" كوبا –بعد انتصار الثورة- ليكون ثائرا حرّا ليترجم عقيدته وفلسفته أن هناك أمم أخرى تحتاج إلى أن أحقق فيها أقدس الواجبات واجب الكفاح ضدّ الإمبريالية حيثما وجدت.

7.ارتبط "تشي غيفارا" وهو صاحب الأفكار الثورية والعقيدة التحررية بالثورة الجزائرية التي قامت ضدّ الظلم والقهر والتمييز العنصري وجسّدت قيم ودلالات إنسانية وأرست معاني الحرية والعدل والدفاع عن كرامة الإنسان.

8.كان "تشي غيفارا" منظّرا سياسيا وعسكريا ومخطّطا اقتصاديا –من خلال مؤلفاته- حيث طبّق جميع أفكاره وكان دائما يمارس ما ينادي به لهذا كان تأثيره في موته أكثر منه في حياته.

9.كان "خطاب الجزائر" الذي ألقاه "تشي غيفارا" في ندوة التضامن الآسيوي الإفريقي اعترافا منه باستلهام شعوب أمريكا اللاتينية قيم الثورة الجزائرية التي اعتبرها إحدى عواصم الحرية الأكثر بطولة.

10.استجابت الجزائر –وعلى رأسها أحمد بن بلة- للفكر التحرري لـ "تشي غيفارا" ودعمت حركات التحرر في إفريقيا وآسيا لتكون ثورة عالمية ضدّ الطغيان والإمبريالية.

المصادر والمراجع

(1) محمد عتريس، معجم بلدان العالم، (ط.1)، مصر، الدار الثقافية للنشر، 2002م، ص ص 342 343.

(2) علي موسى ومحمد الحمادي، جغرافية القارات، دمشق، دار الفكر، 1997م، ص ص 631 632.

(3) منذ اكتشاف كوبا على يد كريستوف كولومبس أصبحت خاضعة لإسبانيا التي نهبت خيراتها وجعلت الشعب الكوبي يعيش حالة من الحرمان والفقر –بدية من القرن 16م إلى غاية القرن 19م-.

(4) عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، (ط.2)، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990م، ج3، ص 189.

(5) بشرى محمود صالح الزوبعي، "التجربة الكوبية في أمريكا اللاتينية"، مجلة كلية التربية الإسلامية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، ع 76، 2012م، ص 2.

(6) خوسي مارتي جوليان (1853-1895م): أديب ومفكر سياسي ومن أبرز الرموز المرجعية للثورة الكوبية، درس بمدريد بإسبانيا وحصل فيها على شهادة الليسانس في الحقوق وأخرى في الفلسفة، عمل صحفيا ومدرّسا في المكسيك وغواتيمالا وفنزويلا، سنة 1875م كرّس حياته لمشروعه الثوري من أجل تحرير كوبا من الولايات المتحدة الأمريكية. قتل خوسي في اشتباك عنيف مع القوات الإسبانية يوم 10 ماي 1895م. كان لأفكار وكتابات خوسي في تلك الفترة حيث تمكن من تحليل المضامين الحقيقية للديموقراطية فضلا على أن مؤلفاته أصبحت مصدر إلهام للثوريين –ومن بينهم "تشي غيفارا"-.

(7) مالك عبد الرازق، دراسات في حركات التحرير في العالم الثالث، (ط.1)، مطبعة جامعة الموصل، ص 324.

(8) بشرى محمود صالح الزوبعي، المقال السابق، ص 323.

(9) عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، (د.ط)، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1992م، ص ص 393 394.

(10) بشرى محمود صالح الزوبعي، المقال السابق، ص 324.

(11) أندري سنكلير، غيفارا، (ط.5)، ترجمة ماهر كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1986م، ص 5.

(12) المصدر نفسه، ص 5.

(13) المصدر نفسه، ص 6.

(14) إرنستو تشي غيفارا، يوميات دراجة نارية –رحلة في أمريكا اللاتينية-، (ط.2)، روتها ابنته أليدا جيفارا مارش، ترجمة صلاح صلاح، 2002م، ص 6.

(15) المصدر نفسه، ص 6.

(16) كانت الرحلة انطلاقا من بيونس آيرس هبوطا من ساحل الأرجنتين الأطلسي وعبر بانما وجبال الأنديز وصولا إلى تشيلي ومنها شمال إلى البيرو وكولومبيا وأخيرا كاراكاس.

(17) أندري سنكلير ، المصدر السابق، ص 17.

(18) المصدر نفسه، ص 17.

(19) المصدر نفسه، ص 18.

(20) أرنستو تشي غيفارا، أحلامي لا تعرف حودا، تأليف هـ.أ روس، منتدى مكتبة الإسكندرية، ص 75.

(21) فيدال كاسترو: قائد ثوري ورجل دولة، ولد في بلدة مایاري بمقاطعة "أورينتا" بكوبا في 13 أوت 1927م، كان والده أنجيل كاسترو وأرغيز مهاجرا إسبانيا يملك مزرعة قصب السكر، درس فيدال القانون في جامعة نجاحها أصبح رئيسا للدولة والحكومة سنة 1972م، وقائدا عاما للقوات المسلحة والسكرتير الأوّل للحزب الشيوعي الكوبي.

(22) تشي غيفارا، أحلامي لا تعرف حدودا، ص ص 67 69.

(23) المصدر نفسه، ص 70.

(24) المصدر نفسه، ص ص 74 75.

(25) المصدر نفسه، ص 77.

(26) المصدر نفسه، ص 121.

(27) تشي غيفارا، حرب الغوار –مذكرات عن الحزب الثورية–، (ط.1)، ترجمة فؤاد أيوب وعلي الطود، بيروت، دار الفارابي، 1998م، ص 9.

(28) أرنستو تشي غيفارا، مذكرات أرنستو تشي غيفارا، (ط.1)، عرض وتحليل هشام خضر، تصوير أبو عبد الرحمان الكردي، مكتبة النافذة، 2008م، ص 17.

(29) المصدر نفسه، ص 37.

(30) تشي غيفارا، حرب الغوار، ص ص 34 37.

(31) المصدر نفسه، ص ص 208 218.

(32) أرنستو تشي غيفارا، يوميات دراجة نارية، ص 19.

(33) المصدر نفسه، ص 19.

(34) ينظر قصة وفاته كما رواها فيدال كاسترو في مذكرات "تشي غيفارا"، ص ص 221 223.

(35) المصدر نفسه، ص ص 16 17.

(36) أندري سنكلير ، المصدر السابق، ص 96.

(37) المصدر نفسه، ص 99.

(38) المصدر نفسه، ص 100.

(39) تشي غيفارا، أحلامي لا تعرف حدودا، ص 44.

(40) هشام خضر، حرب العصابات، جيفارا، ماوتسي تونغ، (ط.1)، الجيزة، مركز الشرق للنشر والتوزيع، 2013م، ص 128.

(41) تشي غيفارا، أحلامي لا تعرف حدودا، ص 188.

(42) ينظر نص الرسالة في أندروسا نكلير، المصدر السابق، ص ص 102 103.

(43) إرنستو تشي غيفارا، بعد انتصار الثورة، (د.ط)، ترجمة فؤاد أيوب وعلي الطود، (د.ت)، ص 276.

(44) تشي غيفارا، أحلامي لا تعرف حدودا، ص 83.

(45) المصدر نفسه، ص 186.

(46) المصدر نفسه، ص 151.

(47) المصدر نفسه، ص 158.

(48) إرنستو تشي غيفارا، مبادئ حرب الغوار، (ط.1)، ترجمة فؤاد أيوب وعلي الطود، بيروت، دار الفارابي، 1998م، ص 10.

(49) إرنستو تشي غيفارا، يوميات بوليفيا، (ط.1)، تقديم فرانسوا ماسبيرو، ترجمة مصطفى الفقير، بيروت، دار الفارابي، 1998م، ص 10.

(50) تشي غيفارا، أحلامي لا تعرف حدودا، ص ص 179 180.

(51) فتح الدين بن أزوار، إيديولوجية الثورة الجزائرية (1954-1962م)، (د.ط)، الجزائر، دار الإنشاد للنشر والتوزيع، 2013م، ص 151.

(52) محمد جغابة، بيان أول نوفمبر، الدعوة إلى الحرب، رسالة إلى السلام، قراءة في البيان، دار هومة، ص 61.

(53) فاطمة طاهري، "تجليات البعد الديني في بيان أول نوفمبر 1962م"، مجلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع10، جوان 2016م، ص 72.

(54) تشي غيفارا، بعد انتصار الثورة، ص 188.

(55) المصدر نفسه، ص 189.

(56) المصدر نفسه، ص 250.

(57) المصدر نفسه، ص 241.

(58) المصدر نفسه، ص 25.

(59) أندري سنكلير، المصدر السابق، ص 105.

(60) كانت لأحمد بن بلة كتابات أخرى أهمها: "خطاب التوجيه" (باريس 1984م)، "حديث معرفي شامل" (دار الوحدة بيروت 1989م)، "حول الإسلام والنظام العالمي" (1989م)، كتاب حول "الاقتصاد الحر" (1994م).

(61) ينظر ميثاق الجزائر المحرر في 10 سبتمبر 1963م.

(62) رابح لونيسي، رؤساء الجزائر في ميزان التاريخ، تقديم أكاديمي لنصف قرن من مسيرة الجزائر المستقلة، طبعة منقحة، دار المعرفة، ص 78.

(63) أحمد منصور، الرئيس أحمد بن بلة يكشف أسرار الثورة الجزائرية، (ط.1)، بيروت، دار بن حزم، 2007م، ص 266.ط